
المعتصم بالله المؤمن
...الإنسان...
...شرنقة!...

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الإنسان...

...شرنقة!!

تأليف:
المعتصم بالله المؤمن

فهرس الموضوعات

المقدّمة

دسّتنا الحياة في هذا الجسد..

وفتحنا أعيننا والجسد يكبر..

وفجأةً يتوقّف الجسد عن النّمو لسنين..

ومن ثمّ يذبل ويأخذ بالضّمور..

وفي لحظةٍ ترتفع العينين، ويخطو الجسد خطوات الفناء..

لقد فقد أعزّ شيءٍ فيه..

أدّى السّبب الذي كان يعيش لأجله..

وخرج المولود القديم الجديد..

يرقة الماضي وحوريّة المستقبل..

لكن ثُرى.. أكانت فراشةً تلك التي غادرت الدّيار؟

أم عثّةً تتهافت على النّار؟

كيف قضى سنواته في شرنقته؟

أو كيف قضى عمره في جسده؟

ذاك الإنسان.. الجسد الشّرنقة.. الجسد الذي يتحمّل أن يكون عتبتك لتصعد عليه وتصل إلى مرادك.. ويغدو السّؤال:

مَن نحن؟

(صدق الله فصدقه الله)

[حديث شريف]

لعلك -عزيزي القارئ- تتساءل عن سبب اختيار عنوان "الإنسان شرنقة" لهذا الكتاب ..

في الواقع، إذا قرأت المقدّمة وأدركت معي طبيعة انسلاخ الجسد عن الرّوح كما تنسلخ الشّرنقة عن الفراشة أو العثّة الجديدة.. أدركت أن الحياة هي فترة تشكيل قلب جديدٍ في قالب الجسد..
وذلك مثلما اليرقة التي تخدر فتفرز موادّاً تذيب أحشاءها ثمّ يعاد تشكيلها حتّى تتحوّل إلى الفراشة.. تتّخذ شكلها وألوانها الجميلة في فترة خدرها في شرنقتها ثمّ تموت الشّرنقة التي كانت جسد اليرقة القديم وتطير الفراشة منها بديعة الألوان!

نحن الآن -في شرنقة أجسادنا- في لحظات تشكيل قلوبنا..
نشهد لحظات الخلق الرّوحيّة وتقلّباتها.. نعيش ثانيةً بثانيةٍ بداية ما سيبقى إلى الأبد.. يا إلهي!

وما هو هذا الشّكل؟.. ما هو هذا الخلق؟.. وأيّ شيءٍ يعني هذا التخلّق الرّوحيّ فنحن لا نرى الرّوح أصلاً؟؟

ستكون مفاجأةً لو علمت أنّك ترى الرّوح فعلاً.. تراها في كلّ حيّ.. تراها في عينيّ أمّك فترى الحنان الذي ينبع منهما رغم أنّه ماديّاً لا شيء ينبع منهما..

تراها في عيني الطّفل الصّغير الذي تلمع عيناه البريئتين رغم أنّ كلّ الأعين تلمع وليست أعين الأطفال فقط!

تراها في القطّ اللّطيف والقطّ الشرس فتعرفهما من النّظرة الأولى رغم أنّك لا تدرك من لغتهما حرفاً..

تدرك فقدانها حين تنظر إلى ميّتٍ -تعرفه في حياته- فتشعر أنّه قد فقد أعزّ ما فيه..

تراها في وجه المجرم الذي لا يمكن أن ترتاح له.. وتراها في كلمات امرأةٍ غير حبيّة تتفر منها..

نظرات.. كلمات.. حركات.. تنبع من مكانٍ واحد.. فمهما كان صاحبك وسيم الوجه فإنّك ستنفر منه حتماً إن كانت أخلاقه مزعجةً.. وحتّى لو حاولت أن تتملّى جمال وجه ستشعر بضيقٍ يتنامى في صدرك يتزايد مع كلّ نظرةٍ.. إنّه قبيييح!

نعم.. قبيح الرّوح.. البصيرة لها ذوقها.. والرّوح لها شكلها.. ربّما لا يوافق ذوقك شكل روح من تكلّمه، ولذا أحياناً نكره أشخاصاً

من النّظرة الأولى دون أن نستطيع أن نحدّد سبباً وجيهاً سوى: أكرهه!

وحينما تدرك هذا تصل معي إلى ما أقصده أنّنا في لحظات تشكيل أرواحنا.. فتصرّفاتنا وقرارتنا وحتّى الظّروف من حولنا تساهم جميعاً في تشكيل طباعنا وأخلاقنا وبكلمةٍ أخرى في تخليق أرواحنا!

ويوماً ما عندما نغادر أجسادنا الماديّة وتفنى ولا نجد سوى أرواحنا، سنعرف جميعاً فائدة أشكالنا الرّوحيّة عندما نجد أنّ اللّه سيعاملنا بها.. فالذي في خُلقه أنّه يغفر ويسامح من يسيئ إليه فإنّ اللّه الغفور سيغفر له ويتجاوز عنه إن شاء اللّه:

(أُتي اللّه بعبدٍ من عباده آتاه اللّه مالاً، فقال له: ماذا عملتفي الدّنيا ؟، قال: ياربّ آتيتني مالك فكنت أبايع النّاس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسّر على الموسر، وأُنظِر المعسر، فقال اللّه: تجاوز ا عنه فأنا أحقّ بذلك منه) [حديث شريف]

والذي نسي اللّه في الدّنيا سينساه في الآخرة بقدر ما نسيه:

﴿نَسُوا اللّه فنَسِيَهم﴾ [التّوبة:٦٧]

والذي ذكره في الدّنيا سيذكره في الدّنيا والآخرة ومن يدرك معنى ذكر اللّه للعبد يقول :أكرم به من ذكر !.. :

﴿واذكروني أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢]

وكما أنّ سيدنا محمّداً قد عشق ربّه -كما كان أهل مكّة يقولون عنه حين كان في غار حراء- فإنّ الله قد أحبّه وجعله حبيبه وأعظم به من فضل!

﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ [محمّد:٧]

ومن أحبّ الله، أحبّ الله لقاءه، ومن كره الله، كره الله لقاءه كما في الحديث الشّريف..

وهكذا فكما تُدِين تُدان.. وما تعمله في الدّنيا سينعكس عليك في الإخرة؛ خيراً بخيرٍ، وشرّاً بشرٍّ:
﴿ومن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره ◇ ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾ [الزّلزلة: ٧،٨]

كما تكون أنت سيكون الله معك.. من كانت روحه جميلةً فإنّ الله جميلٌ يحبّ الجمال -والحسنة بعشر أمثالها- وسيزيده من فضله وينعم عليه بجماله في الجنّة.. ومن كانت روحه أجمل فأنّ الله سيزيده أكثر وينعم عليه برؤية وجهه الكريم!

ومن يسيئ إلى النّاس فلن يحسن الله إليه.. ومن كانت روحه متكبّرةً وأنانيّةً فالآية:
﴿والله لا يحبّ كلّ مختالٍ فخورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]

ولا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من كبر.. وإذاً:
﴿مأواه جهنّم وبئس المصير﴾ [آل عمران: ١٦٢]!

وندرك من هذا عظم اللّحظات التي نحن فيها في داخل شرانق أجسادنا، وندرك أيّ حياةٍ تنتظرنا عندما تنشقّ عنّا هذه الشّرانق ونخرج إلى الله العظيم ،وندرك أيّ تفريطٍ نحن عليه، والله المستعان على أهوائنا وشِقوتنا..

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق:١٦]

تحبّ اللّٰه؟

ولكنّك لا تجده؟

أتريد الحقيقة؟

ما الشّيء الذي هو أقرب من رموشك أو أنفك؟

على الرّغم من أن أنفك بجوار عينيك، ولكنّك لا ترى أنفك إلّا إذا تقصّدتّ النّظر إليه، فكذلك إنّك لا تراه عزّ وجلّ لقربه الشّديد من عينيك.. والذي عليك هو أن ترغب برؤية اللّٰه!

فاللّٰه ليس معك فقط.. اللّٰه في قلبك!

تريد أن تشعر أنّ اللّٰه ينظر إليك؟

إنّه ليس فقط ينظر إليك.. بل هو في قلبك.. يملك عليك حسّك.. يملك عليك جسدك.. إنّ قلبك يخفق به عزّ وجلّ!

تريد أن تذهب إليه؟

إنّه هنا.. قريبٌ.. قريب!

تريد أن تسمع صوته؟

أصغِ؛ إنّك تسمعه كلّ يوم.. فمن أين تأتيك الأفكار التي تفاجئك والحلول التي تنقذك وقد عجزت؟

تريده أن ينظر إليك؟

لا تقلق أبداً.. إنّه ينظر إليك كما لو كنت مخلوقه الوحيد، ولولا ذلك لاختفيت؛ فإرادته لوجودك هي الوحيدة التي تحييك!

تريد أن تكلّمه؟

أراد أن يكلّمك قبل أن تريد ذلك.. فشرع الصّلاة وأمرك بالدّعاء قبل أن تشمّ ريح الحياة!

تريده أن يحبّك؟

لو لم يكن يحبّك لما كنت تقرأ الآن.. لما كنت تتمتع بالقوّة الغريبة التي تتمتّع بها قطعة اللّحم المسمّاة بالعين.. لولم يخلق لنا اللّه هذه المضغة لانقرضت البشريّة منذ زمنٍ بعيد ولما رُفع لها رأس..

دون العينين يكاد الإنسان يكون عاجزاً عن أن يقوم حتّى بأموره الشّخصيّة.. والشّخص الكفيف تخفى عليه أمورٌ من أقرب النّاس إليه، ويغدو أشبه بالطّفل إذ يقوم أحدهم على أموره، ولا يقوَ هو على شيءٍ ولو كان بطلاً في كمال الأجسام!

ولكنّ اللّه العظيم قد سلّمك من كلّ تلك المتاعب النّفسيّة وطيّب حيّاتك بنور البصر ولفتك إليه.. إذ أنّه يحبّك والخير بين يديه!

من تكون أيّها الوقت؟!

نرى الثّواني تدور في السّاعة أبداً.. على نفس الوتيرة سرمداً.. لا ينبغي لثانيةٍ أن تتوانى عن الأخرى أو تسبقها عمداً، ولكن...

ولكنّ الثّواني في السّجن تغدو دهراً، إن لم تكن دهور..

والثّواني في الملذّات تغدو عدماً، يُنسى عددها وتتوانى عن الظّهور..

ما سرّ الوقت؟..وأيّ شيءٍ هو؟.. وماذا كان الوقت قبل أن تُخترع السّاعة وعقاربها؟.. وهل يوجد الوقت في الفضاء حيث لا شمس تشرق وتغرب ولا ساعة تدقّ وتعلن؟؟

الوقت -في الواقع- هو تسميةٌ لتتالي الأعمال:
وقتك اليوميّ (مثلاً): تستيقظ، تفطر، تلبس، تذهب إلى العمل، تعود، تتغدى، تعمل عملاً تحبّه، تنام.. وينتهي وحدة الوقت المسمّاة باليوم بالنّسبة لك.. وكان هذا تتالي الأعمال الذي تعيده كلّ يومٍ تقريباً أو ما يعادله من أعمالٍ أخرى في يوم العطلة مثلاً..

فلو غابت الشّمس وغابت السّاعات فأنت ستتصرف بنفس الطّريقة..

أمّا الثّوانيّ فهي الأعمال الأشدّ دقّةً.. وتراها هي تقريباً أقصر مدّةٍ نستطيع أن ندركها وبالتّالي هذا أقصر عملٍ يمكن أن نقوم به كبشرٍ..

وملايين السّنين هي تتالي أعمالٍ لايعلم عددها إلّا اللّه.. أرقامٌ لا حصر لها من المخلوقات تقوم بعملٍ خاصٍّ في كلّ ثانيةٍ،
ويسجّلها اللّه في كتابٍ، لا يضلّ ربّي ولا ينسى!!

هذا الكتاب هو ما نسميه نحن بالزّمن!

في السّجون مثلاً -أعاذنا اللّه منها- حيث لا عمل ولا أمل، تغدو كلّ ثانيةٍ كريهةٍ بارزةٍ لوحدها لصاحبها الذي يدرك أنّه يقوم -مرغماً- بعملٍ كريهٍ جدّاً وطويلٍ يمتدّ على ثواني سنين طويلةٍ، ألا وهو العقوبة أو الحبس عن الرّغبات...

وهكذا كلّ عملٍ نكرهه نشعر في خضمّه كأنّه عملٌ لا نهائيّ؛ لا ينتهي ولا يبدو أنّه ينوي ذلك!
فكراهيّة العمل تجعل أنفسنا ترغب في إنهاء العمل في كلّ ثانيةٍ، ولكنّها تضطرّ لتكمله في الثّانية التي تليها، ممّا يشكّل لنا عذاباً مريراً وطويلاً على عدد الثّواني..

وإذا كانت الثّواني هي الأقصر فما هو أطول عملٍ نستطيع القيام به دون أن نشعر بالوقت؟

هذه ظاهرةٌ لا أحد يجهلها، فدقائق السّعادة تبدو لحظات، وساعات الهواية تبدو دقائق مقارنةً بدوام العمل.. ويشعر الطّفل الذي تعب من المدرسة أنّه لا يكاد يرتاح منها، في حين أنّ المدرسة هي ربع يومه فقط!

هكذا تتّحد الثّواني في اللّحظات السّعيدة أو الحاسمة؛ وتبدو عشراتها عملاً واحداً، فالاهتمام بهذا العمل والتّركيز عليه يجعل أنفسنا لا تملّ منه ولا تطالب بإيقافه، الثّانية وراء الثّانية، وبالتّالي نستطيع أن نشعر أنّ الساعة هي شيءٌ واحد لا ثلاثة آلافٍ وستّمئة ثانية!

إنّ الحلّ الوحيد لنجعل من عملٍ طويلٍ قصيراً، هو محبّة هذا العمل أو التّركيز عليه حتّى لا يقاطعه أيّ أمرٍ آخر، وبالتّالي يغدو شيئاً واحداً ويسهل علينا تحمّله أو حتّى نرغب بإعادته!

صراحةً، هذي كانت كلّها مقدّمةٌ لأقول لك شيئاً واحداً:

إذا أحببت الله نسيت سواه!

إذا وصلنا إلى الحبّ الحقيقيّ أحببنا ذكر الله والصّلاة حتّى تتّصل ثوانيهما بعضها ببعضٍ وتتّحد.. فيغدو ذكر السّاعات عملاً

واحداً لا ساعات!

ولو حظيت بلحظة ذكرٍ تغدو كنزاً.. وحسرة أهل الجنّة في الجنّة هي لحظةٌ أضاعوا فيها ذكر اللّه!

ولكم تجد أمثال هذي الأحوال بين قصص الصّالحين فقد صرّح أحدهم بأنّهم تمرّ عليه السّنين لا يؤرّقه إلّا مجيء الفجر الذي ينهي عليه ليله السّعيد؛ فهو لا يشعر حين يبدأ بالقيام حتّى يجد أنّه قد انتهى بشكلٍ محزن!

الوصول لهذا ليس مستحيلاً كما يظنّه البعض إذا حقّقنا الطريقة السّابقة وأزلنا كلّ المعيقات والفواصل بين لحظات الذّكر حتّى تتّحد وتغدو عملاً مثمراً!

ليس سهلاً أبداً.. وخاصّةً والشّيطان - أعاننا اللّه عليه- سيذكّرنا بعشرات المواقف التي تأخذنا بعيداً عن مرادنا، ولن يبقى في ميدان الوقت إلّا الصّادق، ولن يثبت في ميدان الأوقات إلّا الصِّدّيق!!

﴿فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم﴾
[النّحل:٩٨]

الشّيطان ذبابةٌ تحوم حولك!

تراودنا أفكارٌ سوداء..

ونستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم..

وتعود الأفكار..

ملذا حدث؟!.. ألم يستجب الله دعاءنا؟!

ألم يعذنا الله العظيم من الشّيطان الرّجيم؟!!

الأمر بسيط.. إذا أردتّ أن تفهمه فهو كمسألة الذّباب.. تذبّه ويعود.. تبعده ويعود.. تضربه ويعود.. وعودته لا تعني أنّك لم تبعده.. ولكنّه عاد وسيبقى يزعجك.. وسيبقى يضع أوساخه وبيوضه على جلدك.. ولن يفتأ أن يعودا!

هكذا هو الشّيطان.. نتخلّص منه بالتّعوذ ويعود بعد لحظات، وكلّما كانت الضّربة أقوى أطال غيابه أكثر، ولكنّه سيعود عندما يجد الفرصة سانحةً، سيعود ليبثّ أفكاره القذرة ويبوضها على أنفسنا..

ذبابةٌ، أو ربّما بعوضةٌ تمتصّ دماءنا.. وللأسف لا نستطيع قتلها..

ونسمع طنينها حول آذاننا يثير المرأ:

" يجب أن ترتاح.. اضرب.. اكره.. هذا لا يطاق.. ألم تملّ؟!.. لقد ضيّعت وقتك بهذا العمل.. المهم أنك مستمتع.. أنت هكذا ستُنسى ولن يذكرك أحد.. لم أنت الوحيد الذي لا يملك المال؟.. إذا فعلت ذلك ستكسب ثروةً وستغدو سعيداً.. هذه المرأة (/ هذا الزّوج) والأولاد يقيّدون حياتك، تخلّص منهم وذق الحرية ما أجملها.. لا لا إياك أن تضيّعي جمالك هباءً دون أن يفطن إليه أحد.. إيّاك أن تغطّي وجهك، ستختنقين ....

ألمٌ على ألم.. ومثل الغافل من يألم..

وما هي الفرصة السّانحة التي يستغلّها فينا؟

إنّها اللّحظة التي لا نذكر فيها اللّه.. وللأسف، ما أكثر هذي اللّحظات في حياتنا..

وما الحلّ؟

إنّنا نستحمّ لنتخلّص من الذّباب.. وكذا يجب أن نطهّر قلوبنا لنتخلّص من الشّياطين.. وذلك -طبعاً- بالذّكر الحقّ الذي ينبع من القلب ليطهّر القلب!!

﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ وكفى بربّك وكيلاً﴾
[الإسراء:٦٥]

اذكر اللّه، تنال حصنه الحصين.. اذكره، لا يستطيع ذاك الذّباب أن ينال منك.. اذكره تغدو طاهراً طيباً بعيداً عن الرّجس الذي تحوم عليه ذباب الشّياطين!

وفي الحديث القدسيّ:
(أنا مع عبدي ما تحركت بي شفتاه)

أنتَ.. مسألة حسابيّة!

علّمونا الرّياضيّات في المدرسة وتعبنا ونحن صغار بحفظ جداول الضّرب ومبادئ القسمة وتبقى الأمثلة التي بدؤونا بها هي مثلاً:
إذا كان لديك خمسة قطع كعك وخمسة أشخاص.. كم سيأخذ كلّ واحد؟

إذا اشترى فلان بمصروفه الفلانيّ كتابا بثمن كذا وقلماً بثمن كذا و.... فكم سيبقى معه؟

إن استعمال هذا النّوع من الأمثلة يجعل الطلّاب يستوعبون فكرة العمليّات الحسابيّة بشكلٍ عمليٍّ لسببٍ واضحٍ وهو أنّ تلك الأمثلة من الحياة!

إنّ حياتنا كلّها حساب، انطلاقاً من المنزل إلى الطّريق إلى العمل، إلى أيّ مكان وزمان... والأغرب من هذا أنّ حياة الأميّ أيضاً كلّها حساب مع أنّه لا يعرف معنى الأرقام أصلاً.. وإذا سألت كيف فإليك الجواب من نفسك:
ربّما يطلب منك أحدٌ أن تناوله شيئاً وترفض لا يمنعك إلّا التّعب.. وبعد قليل يُقدّم إليك طعامٌ تشتهيه فلا تتوانى عن مدّ يدك المتعبة نفسها لتأخذه.. لم؟؟؟

هذه كانت مسألةً حسابيّةً سريعة..
في الحالة الأولى: كان تعبك -البسيط- في مناولة الشّيء يبدو لك أكثر قيمةً من الفائدة المرجوّة من العمل؛ إذ أنّك ربّما لا تعير هذا الشّخص شديد الاحترام.. ولذا رجحت كفّة راحتك في هذه المعادلة وقرّرت أن ترفض..

وفي الحالة الثّانية: بدا لك أنّ لذّة الطّعام أكثر قيمةً من التّعب -البسيط- المبذول في سبيل الحصول على الطّعام ولذا غلبت كفّة اللّذة في هذه المعادلة وقرّرت أن تبذل الجهد!

فكما أنّ ٢ هو الأكبر في : ١ < ٢
و هو نفسه الأصغر في: ٣ > ٢

وكذا فالعمل نفسه ولكنّ المقارنة مختلفة.. وكذا كلّ حياتنا؛ نجعل من معطيات الحياة معطياتٍ حسابيّةً ونقرّر دائماً ما هو الأفضل بالنّسبة لنا ونتخذه قراراً..

إن كان صغيراً كهذا المثال فسيكون سريعاً بحيث لن ننتبه إليه..

وإن تقاربت الكفّتان فحينها سنسميه الحيرة حتّى نجد الأفضل لنختاره متردّدين..

وإن كانت الكفّات ثقيلةً جدّاً و كثرت أرقام الفوائد والمساوئ، فسيكون قراراً مصيريّاً وصعباً..

ولكن في النّهاية كلّها عمليّاتٌ حسابيّة على مدار الثّانية من حياتنا.. دائماً نختار الأفضل لأنفسنا حسب معتقداتنا.. وحتّى الأُميّ يختار الأفضل لنفسه دائماً، ولكنّ جهله يجعل قراراته بسيطيّةً أو خاطئةً في بعض الأحيان..

ومن الملاحظ أنّ لكلٍّ منّا أرقامه (معتقداته) الخاصّة في عمليّاته؛ فما يسعد بعضنا يزعج البعض الآخر.. وما يزعج بعضنا يفرح الآخرين.. ولذا فشخصيّة أحدنا هي أرقامه التي يجري عليها حسابه في الحياة.. وبكلمةٍ أخرى هي ما نسميه بالمعتقدات أو بالأولويّات!

وهذا ما نبّهنا إليه اللّه العزيز في كتابه العزيز:

﴿يُنَبَّأُ الإنسان يومئذٍ بما قدّم وأخّر﴾ [القيامة:١٣]

كلّ منّا يقدّم أموراً يحبّها ويجعلها أولاً، ويؤخّر أموراً يكرهها ويجعلها آخر همّه، حتّى لو كانت مصلحته فيما يكره ومشكلته فيما يحبّ!

وأكبر مثالٍ على ذلك هو التّدخين.. فالمدخّنون يقرؤون على علب التّبغ أنّ التّدخين يقتل ومع ذلك يقدّمون حبّ اللّذة ويؤخّرون حبّهم للصحّة والحياة!. وطبعاً هذه العمليّة النّاجحة في نظرهم هي خاطئةٌ في نظر العقلاء!

فلكلّ منّا شيفرته الخاصّة.. وبذا إذا عرفت شيفرة ابنك مثلاً -لأنّه يشبهك ولأنّك من ربّاه من الصّغر - فأنت ستعرف غيباً كيف سيتصرّف.. وهذا مجرّبٌ ومعروف!

ولله المثل الأعلى.. فربّنا الذي خلقنا من العدم وربّانا من أوّل لحظةٍ هو أجدر أن يعلم شيفرتنا الحقيقيّة بحذافيرها!

فإذا كانت لديه الشّيفرة وهو من يضع المعطيات فإنّه -جلّ وعلا- يعلم كيف سنتصرف لسنين طويلةٍ بمعطيات الحياة التي هو من يضعها في كفّاتنا أصلاً!

إنّه الوحيد الذي يملك الموازين العادلة الصّحيحة المُقسِطَة التي نسمّيها **الكمال**.. وبذلك فهو يعرف أولويّاتنا التي في مكانها الصّحيح والتي في المكان الخاطئ، وهو من يتدخّل لإصلاح بعضها -في كثيرٍ من الأحيان- بالظّروف القاهرة أو الأحداث المدَبَّرة التي تلقننا دروساً في الحياة!

وبتلك الموازين العادلة يكون الحساب بعد الممات حيث تقارن موازين المحاسب بالموازين الصّحيحة فتعرف درجة كماله التي كسبها في الدّنيا:

﴿ونضع الموازين القِسْط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً، وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾

[الأنبياء: ٤٧]

وكلّما كنّا أكمل، كنّا من اللّه -صاحب العظمة والكمال- أقرب، ولو تدبّرنا لعرفنا أنّ هذا سرّ عروقنا التي تنبض..

في هذه الحياة، اللّه يخلقنا روحيّاً بإصلاح أولويّات (شيفرات) أرواحنا..

وحين **تُحلّ** معادلات الحياة (*بالموازين الصّحيحة*) أو تكون **غير ممكنة** (*بالموازين الخاطئة*)، فحينها تنتهي المسألة الحسابيّة المسمّاة **بالإنسان!**

ما عليك سوى أن ترتّب أولويّاتك

- ماذا تعبد؟
- اللّه.

ولكن ماذا تعني كلمة 'عبادة' التي نردّدها دائماً ؟؟؟

وهل نحن نعبد اللّه كما نزعم؟؟؟

المشكلة أنّ كلمة 'عبادة' و 'عبد' صارت كلماتٍ من الماضي..
أعني أنّنا لم نعد نقصد معناها الحقيقيّ عندما نتلفّظ بها..

يقولون: - عبادة اللّه تكون بالتزام أوامره واجتناب نواهيه..
- العبادة هي المحبة الشّديدة للمعبود..

صحيح.. ولكنّنا نحتاج لمصطلح عصريّ يجعلنا نفقه معنى كلمة 'عبادة' بأرواحنا لا بأدمغتنا..

العبادة تعني الهدف..

أن تعبد شيئاً يعني أن تجعله هدفك.. هدف حياتك!

ولذا كانوا يسمّون المملوك عبداً لأنّ هدفه في الحياة هو رضا سيّده..

وفي القرآن الكريم:

﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرّهم﴾
[الفرقان:٥٥]

عندهم أهدافٌ دنيويّةٌ لا تنفعهم ولا تضرّهم.. وما أكثر هذا!

ما هدفي؟.. ما هدفك؟

هل هو الله؟

أم سواه؟

كلّنا نصلّي.. وكلّنا نصوم .. وكلّنا نؤدّي العبادات..

ولكن هل قلبنا متعلّقٌ بربّ السّماوات؟؟؟

معروفٌ أنّ الإنسان عندما يضع نصب عينيه هدفاً يتعلّق قلبه به ويعمل له بكلّ قوّته، فهو يحقّقه ويعينه الكون كلّه على ذلك؛ ومعنى أن يعينه الكون أي: أن يهيّئ الله له الظّروف المناسبة بشكلّ يثير العجب.. فكما قال الشّاعر:

عَجَبٌ عُجابٌ لو ترى عيناكـ!

ومن ذاك أمثلةٌ شهيرةٌ كقصّة الرّئيس الأمريكي لينكولن الذي ترعرع في أسرةٍ فقيرةٍ ولكنّه كان يحلم بدراسة الحقوق.. لكن كان ثمن الكتب أكثر من ما معه من النّقود..

وهنا تتجلّى الإرادة الإلهيّة إذ يلتقي ببائع ورق فقيرٍ بالصّدفة، ويشفق عليه لينكولن ويشتري منه برميل الورق بما معه من نقود، ويكتشف فيما بعد أنّها كتب الحقوق التي كان ينشدها، فدرس بها حتّى نجح في المحاماة وجعل اللّه منه رئيساً لأميريكا!!

نقرأ كلّ يومٍ سبعة عشر مرّةٍ -على الأقلّ- في الصّلاة:

﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾

لو ترجمناها إلى عربيّتنا الحاليّة لصارت: "أنت هدفنا الوحيد في الحياة وأنت الوحيد الذي نطلب منه المساعدة"

ولكن هل صدق أيٌّ منّا في ما يقول، أم أنّنا نكذب على اللّه العظيم كلّ يوم أكثر من سبعة عشر مرّة؟؟؟

﴿فمن أظلم ممّن كذب على اللّه أو كذّب بالصّدق إذ جاءه﴾

[الزّمر:٣٢]

هل نحن نعيش على أمل الحصول على رضا اللّه؟

أم هل يعيش أحدنا على أمل التّفوّق والدّراسة أو العمل والنّجاح والحصول على المال أوالتّكاثر والتّفاخر أو البحث عن الملّذات والمصالح أو... أو....؟؟؟

هذه الكلمات الأخيرة هي التّرجمة العصريّة للتعبير القرآني:

﴿أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾
[الفرقان:٤٣]

ماذا لو كان هدف حياتنا هو اللّه؟

ماذا لو كان اللّه أوّل ما نفكّر به ونحسب حسابه؟

ماذا لو كان عملنا للّه؛ كإعالة النّفس والأسرة لا لجمع المال والرّفاهية والثّناء؟

ماذا لو كنّا نستغلّ أوقات فراغنا لتقديس اللّه؟

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:
(*كلّ أمرٍ لم يبدأ باسم اللّه فهو أبتر* [أي مقطوع])

أي قال رسول اللّه: يجب أن تنووا بصدقٍ كلّ عملٍ تبدؤونه أنّه بهدف رضا اللّه كي يحسب لكم لا عليكم...

وبالتّالي يجب أن يكون العمل كذلك فعلاً فنحن لا نريد أن نكذب!

كان من السّلف الصّالح من يقلع عن عملٍ معيّنٍ بالكليّة إذا لم يجد له نيّةً (هدفاً) مناسبةً للّه!

قانونهم في الحياة:

إمّا للّه أو لا!

وحيدٌ في هذه الدّنيا؟؟
لا أحد يفهمك؟؟

- من نحن؟
- إنسان طبعاً!
- ولكن لم سُمينا بهذا الاسم؟

سمي الجنّ بالجانّ لأنّ 'جنّ' يعني اختفى، وهم مختفون عن الأنظار..

وسمّي الإنسان بهذا الاسم من الفعل 'أنس' المعروف، مع ألفٍ ونونٍ لإثبات الصّفة والإطلاق..

نحن مخلوقٌ يحبّ الأُنس والاستئناس ويكره الوحدة، حتّى أنّ سعادات الدّنيا المعنويّة أغلبها سببها الجماعة.. فكما يقولون:
الجنّة بلا ناس، لا تُداس!
والمثال المعتاد: لو كنّا وحدنا على جزيرةٍ نائيةٍ فلو كانت مليئةً بالذّهب لن نجد قيمةً للذّهب.. لأنّ الهدف الأوّل من الذّهب هو التّزيّن، وما فائدة الجمال دون وجود من يشاهده ويعجب به؟!

والهدف الثّاني هو المال.. وما قيمة المال دون مبادلته مع أحد أو الشّعور بالتّميّز على الآخرين؟!
ما فائدة المُلك والتّملّك دون الشّعور بالانتصار والمنافسة؟!

أين سعادة العطاء والرّحمة إن لم يكن هناك من تعطيه وتعطف عليه؟!
إنّ الوحدة -في بعض الأحيان- تجعل النّاس البغضاء نعمةً من السّماء.. المهمّ أن نجد أحداً نستطيع أن نكلّمه ونبادله مشاعرنا..
فلكم أحببنا أشخاصاً كنّا نكرههم بعد أن غاب أضدقاؤنا المحبوبون واضطرّتنا الوحدة إلى الاقتراب منهم؟

الوحدة ألمٌ حقيقيّ.. وأحياناً يطرق بعضنا وهو بين أقرانه عندما يشعر بأنّ من حوله لا يفهمونه أو لا يتناسبون معه..

صاحب الشّعور الأكبر بهذا هو المراهق طبعاً..

شعورٌ كئيبٌ يملأ صدر هذا الشّابّ أو الشّابة المرّة تلو الأخرى..
"لديّ قدراتٌ مميّزةٌ ولا أحد يأبه لها'.. 'مهما قلت لا أحد يفهمني'.. 'هل سيأتي اليوم الذي يدركون فيه أنّي على حقٍّ؟...."

وفي أحيانٍ تمتلأ كأس قلبه وتنضح يمنةً ويسرةً ويرهق من حوله باحثاً عن ما لا يعرف.. باحثاً عن قوّةٍ عظيمةٍ ويدٍ كريمة..
يبحث عن الوحيد الذي يستطيع أن يفهمه ويؤيّد ما لديه..

يبحث ويبحث ولا يدري.. وقد لا يدري أبداً أنّه...

...أنّه يبحث عن الله...

تقول بعض الدّراسات أنّ الإنسان عندما يريد أن يشعر بالأمان ينكمش على بعضه بنفس طريقة انكماشه في رحم أمّه..
وينادي كثيرٌ من النّاس -حتّى البالغون منهم- عند الخوف: 'يا أمي!'..
وترى كثيراً من النّاس يحبّون أن يمتصّوا بعض الأطعمة، وهي الطّريقة التي كانوا يمتصّون بها الحليب من أمهاتهم!

ترى من يحنّ إلى أمه بعد أن استغنى عنها، ألا يحنّ إلى خالقه وهو دائماً لم ولن يزال بحاجةٍ إليه؟؟؟

أقوى هذا الحنان يكون عند الشّابّ المراهق الذي يبحث دوماً عن القوّة والعظمة والنّقطة الأمتع في هذه الحياةحتّى يكرّس لها بقيّة حياته..
إنّه مفطورٌ على ذلك.. فحتّى كثيراً من شبّان الغرب تنتابهم هذه الرّغبة والحنان الشّديد حتّى يبحث بين الأديان واحداً واحداً حتّى يجدّ ما يرضيه ويروي عطشه ويخلّصه من ألمه.. وما أسعد هؤلاء عندما يهديهم ربّهم إليه فيسلمون!!

لو أحببت أن تطّلع على بعضهم، فاطّلع على برنامج "بالقرآن اهتديت" للشيخ فهد الكندريّ جزاه الله خيراً، فهو يعرض العديدين ممّن حملوا نفس بداية الهدى في شبابهم وانطلقوا بها حتّى أسلم الكثيرون على أيديهم!
....

لو لم تجد أحداً يفهمك..

فإنّ الله -بلا شكٍّ- هو من يفهمك..

أليس هو من خلق دماغك وعقلك؟

أليس هو من خلق لسانك وسنّك؟

أليس هو من فجّر الشّباب في عينيك؟

أليس هو من سخّر المادّة بين يديك؟

أليس هو من يقول للعاصي العاصي: إلينا عود..

وقوله الحقّ.. كن فيكون!!

صلاة أفضل.. حياة أفضل!

لمن نعيش؟.. من نعبد؟.. من نريد؟

هذه ليست كلمات سنجيبها جميعاً بلفظ الجلالة!

هذه حقيقةٌ مصيريّةٌ، أعظم بها من أمرٍ جلل!

فلّا نكذب على أنفسنا..

حقيقتنا أنّه ليس لنا علاقةٌ مباشرةٌ بيننا وبين مالكنا..

ما نكنّه لرئيسنا أو أبينا من احترامٍ أو حسابٍ أكبر ممّا نكنّه لرّبنا وسيّدنا الأعلى..

إنّه الوقت لننشى علاقتنا مع الله العظيم في التّوّ واللّحظة..
الآن وليس بعد قليل..

هل تستطيع أن تكلّم الله في الصّلاة وكأنّه أمامك فعلاً؟
لو تكلّمنا مع أخينا فنحن نبذل ما في وسعنا كي نسيطر على أنفسنا ونركّز على الحوار لا إراديّاً بينما...

بينما أحياناً -أو نادراً- ما نعقل في الصّلاة.. مع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم صارحنا بقوله الشّريف:

"ليس لك من صلاتك إلّا ما عقلت"
بعضنا من يخرج من الصّلاة بنصفها ومنّا من يخرج منها بالرّبع ومنّا بلا شيء فلا يذكر أصلاً إذا كان صلّى أو لا!

نصلّي جزافاً ولا نرجو قبولاً ولا يخطر لنا على بال.. حُزنا الجواز في نظر الفقهاء وهذا يرضينا ولا نبحث عن الجواز في عين اللّه التي ترقب أدمغتنا أين ترتع وتسرح ونحن نصلّي..

قال معلّمنا صلّى اللّه عليه وسلم:
"إنّما الصّلاة تمسكنٌ وخضوع"
وقال:
"يصلّي الرّجلان وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وبين صلاتهما كما بين السّماء والأرض"

يشير إلى الخشوع.. وكذا في قصّة الشّابّ الذي أمره النّبيّ بأن يعيد صلاته المرّة تلو الأخرى مع أنّه -من ناحية المبدأ- ركع الرّكعات بعددها كلّها!

يفرض الأستاذ على تلميذه الفروض المدرسيّة مع أنّها لا تغني الأستاذ من جوع، إنّما يفرضها على الطّالب لصالح الطّالب، وإذا أداها الطّالب دونما اهتمام فما خسر إلّا الطّالب!

وكذا الصّلوات هي فرضٌ في كلّ يومٍ وليلةٍ، ولكنّها حياتك كلّ الأبد بعد الأيام واللّيالي، إنّها -في الحديث- البرهان الذي تبرهن

به يوم القيامة أنّك كنت على العهد الذي كنت عنه مسؤولاً..
فهل برهانك ثابت البراهين؟

واخيراً وليس آخراً.. هل قرّرت -مثلي- أن تعيد النّظر في
صلاتك وتمنحها اهتمامك قبل أن يفوت أوانك؟

إذا حزمت أمرك وكسرت أنف شيطانك، فاربط زمام المبادرة
عند أوّل محطّةٍ تالية؛ لتنتقل بقطار الوقت إلى حضرة الرّبّ
وتبدأ حياةً جديدة مختلفةً بكلّ المعايير، ومن تجربتي
الشّخصيّة أقول لك -وأعني هذا حرفيّاً- :
لن تؤمن بوجود الفرق حتّى ينطلي بحلاوته لسانك!

استعنْ بالله ولا تعجز!

بسم الله واستعنا بالله..
عنونت هذا القسم بهذا الحديث الشّريف لأنّه ما لم يعنك الله ويجعل لك نصيباً منه فلن تجد نصيراً على شيءٍ منه ولو اجتمعت الإنس والجنّ على ذلك.. ولئن أراد الله أن يرزقك منه فلن يقدر مخلوقٌ أن يحرمك من شيءٍ منه!

إنّها العظمة الإلهيّة التي تنبت الأرواح العظيمة في تربة أجسادنا (المخلوقة من تراب) عندما يسقيها بنور مشيئته جلّ علاه!!

أمّا بعد:

الطّرائق بعدد الخلائق.. ومن جهتك قف نفسك لمولاك وقف بقدميك على سجّادتك واطلب منه طريقتك..

وتبقى نقطة الطّلب التي يشترك بها كلّ البشر، بل كلّ عباد وعبيد الله بما فيهم الطّير والحيوان وكلّ المخلوقات.. إنّها -والله- نقطةٌ حسّاسة.. النّقطة الفاصلة بين الرضوان والسّخط.. بين الجنّة والنّار!

إنّه الإسلام لله العظيم وتسليم الرّوح لعظمته والإقرار العميق بالعبوديّة لجلاله!!

هل يأبه أحدٌ للعدد: 0,00000001% أم هل يعتبره الجميع عدماً.. ولو كانت الفاصلة أبعد وأبعد إلى ما لا نهايةٍ أيضاً، فأين

يبقى هذا الواحد الأخير في القيمة؟.. هذا ما يُسمّى في الرياضيّات: **المهمل لصغره!**

بعد أن نؤمن بالله العظيم ونجد آلاءه في الكون وفي أنفسنا وقلوبنا.. هل نظنّ بعدها فعلاً أنّنا موجودون؟.. أم أنّنا -جمعاً يكن- مهملون لصغر صغر صغر صغر صغر ....صغرنا؟!

وإذاً، يقف هذا المخلوق الضّعيف المعدوم في حضرة مالك الملك، ذي الجلال والإكرام، وهو كيف؟؟؟؟

أنت من يجيب على هذا السّؤال وتذكّر أنّ جوابك يحدّد مصيرك وكيانك.. عبدٌ أم حرٌّ؟

هذا السّؤال الذي هزّ كيان الشّيخ بشر وألصق باسمه لقب "الحافي".. جميعنا سمعنا بهذا الرّجل الصّالح الذي عرفت قصّة بدايته بأنّه كان يهوى الشّرب والغناء فمرّ ببابه أحد الصّالحين فطرق الباب وقال لجارية بشر أربع كلماتٍ قلب الله بها حياة سيّدها للأبد:
- سلي سيّدك أحرٌّ هو أم عبد؟

ومضى الرّجل بينما امتلأت الجارية عجباً لهذا السّؤال الغريب.. كيف يخطر له -أصلاً- أن يكون سيّدها عبداً؟!

ولكنّ هذي الكلمات التي أثارت عجب الجارية، أثارت ساقَي

سيّدها فقد ركض مسرعاً يلحق ذاك الغريب حافياً ليقول له:
- بل عبد.. بل عبد!!!

أبى أن يوصف بالحريّة من العبوديّة لله وتحوّل من يومها بما أوتي من قوّةٍ إلى طريق العلم والصّلاح ليكون بذلك عبداً لربّه الله!!

كانت تلك النّقطة مصيريّةً في حياة ذاك الشّاب الذي تحوّل من يومها من نار الطّرب والشّراب إلى روض الشّوق والاقتراب، ومع ذلك حفظ توبته القديمة رغم شهرته الكبيرة فلم يلبس حذاءً بعدها.. وعندما قيل له أن يشتري حذاءً بدرهمين ليزيل عنه هذا اللّقب الغريب، أجاب أنّه ما كان ليغير حالاً تاب عليه!

ربّما أغلب من يقرأ هذه كلمات هذا الكتاب لم يعرف طعم الفسق أوالشّراب والحمد لله في ذلك، ولكن هل يتأثّر منّا أحدٌ بكلمات ذاك الرّجل الصّالح كما تأثّر بشر الحافي رحمه الله؟!

هذا ما نفسّره بمشيئة الله وبأنّ الطّرائق بعدد الخلائق فطريقته في الهدى قد لا تكون تشبه طريقة أحدٍ منّا أصلاً!.. وهذا يحثّنا على البحث عن طريقتنا سائلين الله إيّاها!

كان ضعفاء إنجلترا الأحرار يوقفون أنفسهم عبيداً للخدمة ويقدّمون أراضيهم الصّغيرة لإقطاعيٍّ ذي نفوذٍ لقاء الحماية من بقيّة الإقطاعيين وقطّاع الطّرق..

هل تخيّلت معي هذا الشّعور الصّعب في حين شهرت قصص العبيد الذين يحلمون بالحريّة ويجازفون لأجلها.. ولكنّ الأمان والحياة كان أثمن لأولئك من حريّة لن تثمر لهم سوى خوفاً وعذاباً..

وعودةً إلى مقصودنا، إذا كان إنسانٌ تصرّف هكذا مع إنسانٍ من لحمٍ ودمٍ مثله قد تقتلهما نفس الشّوكة، فلم لا يكون الإنسان هكذا مع خالقه وصاحب نعمته الذي لا أمان إلّا أمانه ولا عزّ إلّا عزّه؟!

﴿ولا يحزنك قولهم إنّ العزّة للّه جميعاً هو السّميع العليم﴾
[يونس:٦٥]

فإذا صلّينا ينبغي أن نبلغ أقصى درجات الخضوع والخشوع دون أن يقربنا العُجب بعملنا فهو الشّرك الأصغر، ومع العلم أنّ هذا قد يبدو في بعض الأحوال تعجيزيّاً فكيف السّبيل؟؟

هناك سبيلٌ واحدٌ وحيد وهو الفناء في اللّه؛ يعني أن تكفّ عن رؤية أنّ أعمالك هي أعمالك بل هي أفضال اللّه عليك.. ولو تفكّرت قليلاً سترى حقيقةً أنّ دون توفيق اللّه فلن يكون لك جزءٌ من عمل، فمثلاً لولا أنّ اللّه هيّأ لك الظّروف الماليّة المناسبة للصدقة لكنت ممّن يأخذ الصّدقة لا ممّن يتصّدق!.. وهذا أمرٌ معلومٌ فلو ضيّق اللّه صدر مديرك منك فجأةً لدُمّرت حياتك.. ولو منح اللّه فكرةً لمنافسك فستفسد تجارتك.. ولو

كايدك زملاؤك دون سابق إنذار لفسدت سمعتك ولو.. ولو..

كلّ حياتنا ونجاحنا مبنيّةٌ على الظّروف التي هيّأها اللّه لنا أقررنا بذلك أم لا.. يقول المثل : اضحك يضحك لك العالم.. وتقول الفلاسفة أنّ ظروفك تتشكّل من قراراتك..

والسّؤال الكبير لهم جميعاً: أيّ صدفةٍ هذه التي جعلت العالم من حولنا بإرادات المخلوقات التي يحويها يوافق إرادتنا ورغباتنا؟!

أليس هو اللّه الذي يعلم ما في قلوبنا ويمسك زمام الكون من حولنا ويدري برغباتنا، هو من يحرّك العالم بأسره ليحقّقها لنا عندما يريد؟!

《إنّ اللّه لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم》
[الرّعد:١١]

نعم.. إنّ اللّه -ربّ العالم - مدبّر العالم- هو الذي يدبّر لنا الحياة داخلنا وخارجنا ويمنحنا العمل الذي يقرّبنا إليه وبعدها.. أنرى العمل الصّالح هو عملنا نحن أم هو فضل اللّه علينا؟!!

مثال هذا: لو أنّ أحداً حصّل النّقود بعرق جبينه واشترى الخضار المناسبة وحملها إلى البيت وغسلها وقطّعها وانتقى البهارات وطهاها على النّار وأخيراً طلب منك أن تطفئ النّار وتسكب الصّحون، هل يكون الطّعام عملك أنت أم عمله هو؟؟

ولله المثل الأعلى!.. هذا ما نفعله نحن مع الله!.. نسكب في صحننا (الصّلاة) وفي صحون الآخرين (كعائلتنا أو الفقراء) ونعتبر أنفسنا أصحاب الفضل وأبطال الميدان وبالكاد نتذكّر أن نقول : الحمد لله!!.. ولو قلناها يصعب علينا أن نجعلها تسيطر على قلوبنا بحيث تطرد الأنا خاصّتنا!

هذا جرّبته أنا وجرّبته أنت، وهو بالضّبط ما يحرمنا الصّلاة التي نصلّيها ونحن نشعر بالإحسان والبطولة بأنّنا نركّز فيها وهو ما قد لا يفعله الملايين غيرنا..!

وأخيراً إذا وقفنا لنصلّي ينبغي أن نصبّ شعور الشّكر من قلوبنا لله الذي منّ علينا بالصّلاة في حين لم يهبها لملايين أو مليارات البشر .. كان أحد الصّالحين كلّما أنهى صلاته يسجد شكراً لله لأنّه أذن له أن يصلّي!

وآخر كان يستغفر كلّما أنهى صلاته كما لو ارتكب ذنباً لا عمل عملاً صالحاً وذلك لأنّه يخشى أن تحبط صلاتَه غفلةٌ ما أو تهاونٌ ما!

فإذا خشعت تكون حينها قد بدأت تصلّي ومن علاماتها أن:
- تنتابك سكينةٌ وطمأنينةٌ وسلامٌ غامر أكثر من المعتاد!
﴿لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشّجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ١٨]

- تخشع جوارحك ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢]
(الحديث :"لو خشع قلبه لخشعت جوارحه")
- يقشعر جلدك..
﴿اللّه نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللّه﴾ [الزّمر:٢٣]
- ويصبح عنقك للّه خاضع..
﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم حشوعاً﴾ [الإسراء:١٠٩]

- تراودك رغبةٌ بالبكاء..
﴿إذا تتلّى عليهم آيات الرّحمن خرّوا سجّداً وبكيّاً﴾ [مريم:٥٨]

- تشعر بحرارةٍ غريبةٍ ومريحةٍ تنبعث من جسدك كوجهك وفمك ويديك...
﴿فلمّا أتاها نودي أن بورك مَن في النّار ومن حولها وسبحان اللّه ربّ العالمين﴾ [النّمل: ٨]
ويذكر أنّ هذه هي نار التّوحيد والمحبّة!

- تذوق حلاوةً مفاجئةً على لسانك وبين أسنانك (ولو كنت صائماً) وهو الذي يشعر به بعض النّاس عند السّرور!

- تراودك رغبةٌ بالمزيد من الصّلاة!
(الحديث: " لا يزال الرّجل يصدق حتّى يُكتب عند اللّه صدّيقاً")

ومع ذلك لا تجعل العلامات هنّ المطلوبات، فتكن كمن كان يصلّي ينتظر العلامات فقيل له وهو يصلّي: لا تعبد الجرّة واعبد اللّه صاحبها!

طبعاً المقصود لا تعبد الجرّة بحيث تنتظر أن تملأ من الفضل، بل اعبد اللّه الذي يملؤها لك بأفضاله.. فانتظار الفضل مفسدةٌ للعمل، ولكن كن عبداً تائباً شاكراً لفضلٍ مفاجئ!

من ناحيةٍ أخرى، قد يكون أكبر خدمةٍ تقدّمها لمجتمعك هي إصلاح نفسك؛ فبالنّاس الصّالحين يعظ اللّه الضّالين أو يصرف البلاء عن أهل المدينة أو يشفّع بهم أهلهم يوم القيامة إن شاء اللّه!

نصائح ختاميّة:

- ذكّر نفسك دائماً أنّ الصّلاة هي عملٌ بالقلب يساعده على استحضاره حركات الجسد، وليس العكس!!

- واذكر أنّ الصّلاة الحقيقيّة هي تمجيدٌ للّه حبّاً به وشكراً له كعمل الملائكة وليست تأدية فرض أو مآرب شخصيّة!

- واعلم أنّما تركته للّه من الدّنيا عوّضك اللّه سروراً في قلبك كالحديث الشّريف أنّه من ترك النّظر إلى حرام عوّضه اللّه سروراً في قلبه!

- استجمع قلبك عند تكبيرة الإحرام؛ فقد ذكر أحد الصّالحين أنّ الصّلاة يتبيّن أمرها من تكبيرة إحرام صاحبها ..

- ركّز على معاني سورة الفاتحة وخاصّةً البسملة (الحديث: "كلّ شيءٍ لم يبدأ باسم اللّه فهو أبتر")
واستحضر نفسك أمام اللّه العظيم وأنّك تناجيه كما الحديث القدسيّ: ("قسمت الصّلاة [الفاتحة وسميت صلاة لوجوبها] بيني وبين عبدي شطرين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل").. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم: "اقرؤوا: يقول العبد: ﴿الحمد للّه ربّ العالمين﴾ فيقول اللّه عزّ وجلّ: "حمدني عبدي ولعبدي ما سأل"..........")

فإن فاتك التّركيز على أوّل فاتحةٍ في الصّلاة فقد فاتك خشوع الصّلاة غالباً كما هو مجرّب، للحديث الذي يشير أنّ العبد إذا التفت في صلاته فإنّ اللّه يتركه..

- ركّز على تسبيحات الرّكوع بمعانيها وأطل الرّكوع برغبةٍ، فإذا أتقنته عرفت لم سُمّيت الصّلاة بالرّكعات، فلا صلاة حقيقيّة بلا ركوع، فالرّكوع هو ما يجلب الخشوع بإذن اللّه تعالى!

- لا تنس القيام بين الرّكوع والسّجود من الاهتمام لقوله صلّى اللّه عليه وسلّم: (" لا ينظر اللّه إلى عبدٍ لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده") واستجمع قلبك للسّجود..

- كذلك ركّز على تسبيحات السّجود ومعناه الحقيقيّ (إذ أننا نسينا معناه بسبب ترداده منذ الصّغر).. ويعينك على ذلك -بإذنه تعالى- الحديث الشّريف:

("إذا قام العبد في صلاته ذرّ على رأسه البرّ حتّى يركع، فإذا ركع علته رحمة اللّه حتّى يسجد، والسّاجد يسجد عند قدمي اللّه فليسأل وليرغب")

ليس المقصود الحرفيّة، ولكن المقصود الحالة النّفسيّة، واللّه أعلم..

- ركّز على التّحيات للّه، فما قيمة المديح وأنت لا تقصده؟! (الحديث : " أما إنّ ربّك تعالى يحبّ المدح")

- ركّز على الصّلاة على النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قاصداً الدّعاء له بالخير من قلبك، فقد قال: (" إذا جلست في صلاتك فلا تتركنّ الصّلاة عليّ فإنّها زكاة الصّلاة") وقال صلّى اللّه عليه وسلم: (" من لم يصلّ عليّ فقد أخطأ طريق الجنّة") فسيّدنا محمّد يكون واسطةً وشفيعاً لنا عند اللّه عندما نقصده بالصّلاة أولاً ويجد فينا دينه الحنيف وسنّته القويمة ثانياً.. فأعاذنا اللّه من أن نكون ممّن لا يرضا رسول اللّه أعمالهم ولا يسرّه أن يتشفّع فيهم..

- الدّعاء في السّجود تضرّعاً.. (الحديث: "أقرب ما يكون العبد من اللّه وهو ساجد")

- التّسبيحات الثّلاث والثّلاثين بعد الصّلاة :(سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر) ولكن اقصد معناها وسلّطها على قلبك!.. وهذا الذِّكر هو الباقيات الصّالحات في الآية الكريمة:

﴿والباقيات الصّالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ مردّاً﴾ [مريم:٧٦]

- صلّ بهدوء وتخلّص ممّا يجعلك تستعجل في الصّلاة وإن كان لا بدّ وكان هناك متّسعٌ من الوقت فمن الممكن أن تؤجّلها قليلاً دون مماطلةٍ أو تسويفٍ (ولعلّ هذا هو سبب وجود متّسعٌ من الوقت لكلّ صلاة وليس لنصلّيها في أيّ وقتٍ نريدا!) بهدف تحسين مستواها كالحديث الشّريف: ("إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصّلاة").. فانتظار أن يبرد حرّ الشّمس قليلاً بدلاً من شمس الهاجرة الشّديدة أرجى لصلاةٍ أفضل!
وكذلك قال صلّى اللّه عليه وسلّم: ("إذا صليت فصلّ صلاة مودّع") فمن يشعر أنّه كاد يحرم الصّلاة، فهو أجدر أن يصلّيها كما ينبغي!

- جدّد وضوءك عند كلّ صلاة فكما قال الشّيخ السّهروردي رحمه اللّه أنّ تجديد الوضوء هو من سيما العارفين!

- الصّيام (دون العُجب به) جُنّةٌ لك من اللّه ودليلٌ على عدم عشقك الدّنيا التي يبغضها اللّه وببغض من يعشقها..
(الحديث: "حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة")

- لتجعل الخشوع تراكميّاً ويبقى السّلام يخامر قلبك فداوم على ذكر اللّه عزّ وجلّ بين الصّلاتين ولا تنشغل تماماً بسواه فيذهب عنك الوصل والطّمأنينة وتعود إلى الصّفر عند الصّلاة التّالية!

﴿حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا للّه قانتين﴾ [البقرة:٢٨٣]

﴿فإذا قضيتم الصّلاة فاذكروا اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصّلاة إنّ الصّلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [النّساء:١٠٣]

- وأهمّ ما في الأمر أن تبني علاقتك الخاصّة بينك وبين ربّك كما لو كنت تراه، وتشعر به حقيقةً، سيّدك، ومالك أمرِك وروحِك ورأسِك.. فعسى بذلك أن ترقى مقام الإحسان واللّه يحبّ المحسنين!!!!

تسأل ربّك عن كلّ ما صغر أو كبر من أمرك كما كان الصّحابة رضوان اللّه عليهم يفعلون، فأحد أمّهات المؤمنين حتّى عندما علمت بخطبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لها قالت: 'حتّى أشاور ربّي' فما وافقت حتّى صلّت أولاً!!

إنّها علاقةٌ أكثر من كلماتٍ وجُملٍ مأثوراتٍ.. إنّها مناجاةٌ حقيقيّةٌ للذات العليّة.. وأكرم بهذا المقام من مقام!!

وأولاً وأخيراً، ارجو ربّك الله، فهو -جلّ وعلا- وليّ التّوفيق!!

《 الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور》 [البقرة:٢٥٧]

《والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلَنا وإنّ الله لمع المحسنين 》 [العنكبوت:٦٩]

لنخرج في ظلّ اللّه...

إن البشر خمس درجات:

أسعدهم : يحبّ اللّه ولا يحبّ سواه
أوسطهم: يحبّ اللّه ويحبّ العمل الصالح
أقلّهم: يحبّ اللّه ويحبّ نفسه
أحزنهم: يحبّ نفسه بالدرجة الأولى
أتعسهم: يحبّ الدنيا فيهلك نفسه لأجلها!

من **نحن** من هؤلاء؟

هل نحن من السّعداء الذين أسعدهم هو سيّدنا محمّد صلّى اللّه هليه وسلّم الذي عشق ربّه فلا يغضب إلّا للّه ولا يفرح إلّاباللّه؟!

هل نحن من أوسط النّاس سعادةً الذين سمّاهم اللّه عزّ وجلّ بالأبرار فهم يتهافتون على الأعمال الصّالحة لوجه اللّه لا يريدون جزاءً ولا شكوراً؟!

أم نحن من أقلّ النّاس سعادةً الذين يكنّون حبّ اللّه في أحد زوايا قلوبهم ويعملون للدّنيا بزاويةٍ أخرى ولسان حالهم المحزن يقول: 'للدّين وقته الخاصّ وللعمل وقته'؟!

أم نحن من أحزن النّاس الذين يفكّرون في مصالحهم بالدّرجة الأولى وينطوي تحتها الأمور الاجتماعيّة كالأخلاق والدّين كي لا يعيبهم النّاس؟!

أم لا تقولوا أنّنا من أتعس النّاس الذين يهلكون أنفسهم للدّنيا (لجمع المال مثلاً) التي هي أصلاً هالكةٌ فيضيعون مع الدّنيا في بؤرة العذاب والهلاك.. وفي أحيانٍ كثيرةٍ يسعى بعضهم كي لا ينفعوا ورثتهم أو من بعدهم؟!!

قرارٌ مصيريّ علينا أن نتّخذه.. ثوانٍ قصيرةٌ تنساب بخفّةٍ من بين أصابعنا.. لحظاتٌ تمسك بخناقنا.. أيّام الخادرة تكاد تنتهي وكلّ لحظةٍ تحنّط الماضي وتنحت المستقبل..

وعيون الكون بأسره تترقّب..

هل سيخرج من هذه الشرنقة مخلوقٌ قدّر له أن يكون أسعد منهم.. أحد أسعد المخلوقات وأجملها قلباً وقالباً؟

أم سيخرج منها مخلوقٌ هو أتعس منهم؛ الأقلّ سعادةً من بين الكون بذرّاته كلّها.. الأقبح مطلقاً.. أحد حطبات جهنّم وأكرهها رائحة؟؟؟

إنّك تقرّر الآن..

فأنت في هذه الحياة!!!

...تمّ هذا الكتاب بفضل الله عليّ والله المستعان...

...والحمد لله ربّ العالمين...

عزيزي القارئ:

"ربّ مستمعٍ أوعى من سامع"

ربّ قارئٍ خيرٌ من كاتب!

أشكرك لإتمام قراءة هذا الكتاب وأرجو أن يكون وصل قلبك كما كتبته من قلبي!

وأرجو منك أن تدعو لصاحبه بما انتفعت به..
وأن تعينني على نشره ولو إلى شخصٍ واحدٍ، فالدّال على الخير كفاعله، وجزاك اللّه ألف خير بما عملت بما في هذا الكتاب من خير!

كتابٌ آخر للمؤلف:

